٣٦- باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط ؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع» .

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية: تفسير آية هود .

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطى رضي ، وإن لم يعط سخط .

الخامسة: قوله: «تعس وانتكس» .

السادسة: قوله: «وإذا شيك فلا انتقش» .

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

الشرح :

المؤلف رحمه الله تعالى عقد بابا جديدا ملحقا بالباب السابق ـ باب ما جاء في الرياء ـ لكنه أعم منه .

قوله : باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا . هذا باب آخر في مسألة النية لكنه أعم من الباب السابق، إرادة الدنيا بأشكالها وأصنافها، إرادة المال ، إرادة الجاه ، يعمل العمل من أجل الجاه ، أو من أجل المال ؛ أو من أجل الوظيفة ؛ أو من أجل الشهادات ، أو من أجل المدح ؛ أو من أجل المنصب، ، فالمسألة الأولى السابقة وهي في الرياء خاصة بصورة واحدة من صور الشرك ؛ وهي الرياء ؛ أن يعمل العمل ليراه الناس فيثنوا عليه أو يمدحوه.

كمن حج ليأخذ المال ، وهذا يكون في الغالب في حج النيابة : يعني إذا مات ميت ولم يحج ، مات أب أو أخ لك أو ابن أو نحو ذلك وأنت تريد أن تخرج من مالك أو من ماله ثمن هذه الحجة ليقوم شخص بالحج له ـ حج النيابة ـ

فتبحث عن هذا الشخص وهذه مسألة موجودة ومنتشرة موجودة في خارج البلاد ، هناك أناس يحجون بالنيابة ويبحثون عنها ، فإذا كان هذا الشخص الذي ستعطيه غرضه المال { يحج ليأخذ } فهذا لا يعطى ، يعني اتخذها مهنة وتجارة ويبحث عنها ، تقول له مثلا أعطيك ألفا أو ألفين يقول : لا هذا قليل ؛ زدني ، أزيدك خمسمائة يقول : لا ، زدني ألفين ، فصارت مساومة، وهذا موجود ، والإمام أحمد نص على أن الذي يحج ليأخذ المال ؛ هذا لا يعطى إنما يعطى الذي يأخذ ليحج ، عكس المسألة الأولى ، يتسنى له الحجة وينوي بهذه الحجة التقرب بها وأن يحج عن أخيه المتوفى وأن ينفعه وأن يصل إلى المشاعر وأن يصلي بالمسجد الحرام وأن يطوف بالبيت ويقف مع الناس في المشاعر المباركة ونحو ذلك ، من كان ينوي هذه النيات فهذا الذي يعطى المال ليحج .

فهذا الباب ـ **باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا** ـ باب واسع وخطير، فعلى المرء المسلم أن يراجع نفسه ، ويراجع أقواله وأعماله ونياته الخفية ؛ وألا يفوت هذا فيضيع عمله سبهللا .

قوله تعالى : ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها﴾

ورد في الدرر السنية في الجزء الخاص بالتفسير وفي المجلد الثالث عشر ذكر فيها فوائد للإمام المجدد رحمه الله تعالى حول تفسير القرآن الكريم، آيات فسرها من هنا وهناك فمما فسره هذه الآية الكريمة أو من الفوائد المستنبطة على هذه الآية الكريمة ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون** ﴾ الذي يريد فقط الدنيا نوف إليه عمله فيها، لكن جاء في آية الإسراء ﴿**ما نشاء**﴾ فقيدت هذه الآية بالمشيئة ﴿ **...ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا**﴾ معنا آية هود ﴿**وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها**﴾ ليس لهم في الآخرة شيء إلا النار .

الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المؤلف يذكر في التفسير المجموع له في المجلد الثالث عشر في الدرر السنية في صفحة ٢١٩تنقل ذلك الموضع مجمل كلام السلف حول أصناف الناس الذين يعملون الأعمال هذه التي ليس لهم فيها نصيب، فقسمهم إلى أربعة أنواع :

النوع الأول: من يعمل العمل مخلصا لله ؛ يعمل لله ؛ لا يعمل لغيره ويجتهد في هذا العمل لكنه يريد أجره من الله في الدنيا أن يكون بالصحة والعافية وحفظ المال وحفظ الولد ، ولا يلتفت لأجر الآخرة ولا لثواب الآخرة، فقط

يريد في الدنيا أن يكون إنسانا سعيدا وفقط، ماله محفوظ وبدنه محفوظ وولده محفوظ وأهله كذلك، ليس في ذهنه شيء عن أجر الآخرة.. فهذا عمله حابط في الآخرة وليس له منه جزاء أو نصيب أو ثواب في الآخرة .

النوع الثاني : وهو الذي يعمل العمل رئاء الناس، هذا مر بنا الحكم فيه والكلام في العمل إذا دخله الرياء في أصله أو طرأ عليه بما فصلناه فيما مضى ، فهذا الذي يعمل العمل رياء هذا عمله حابط وباطل، الذي دخل فيه الرياء، عندما نقول عمله حابط ليس كل الأعمال وإنما العمل الذي دخل فيه الرياء فإنه يحبطه ، وقلنا بأن هذا من الشرك الأصغر إذا لم يكن رياء كرياء المنافقين وإذا لم يكفر ؛ على ما سبق . لأن بعض أهل العلم يقول: كثير الرياء شرك أكبر ؛ فالرياء أمره خطير .

النوع الثالث: من يعمل العمل لإرادة الدنيا.. يعمل الطاعات ويأتي بالعبادات كما سبق في أول المقدمة من أجل الوظيفة والمرتب وأن يحظى بمكانة عند فلان أو فلان أو من أجل أن يتصنع للخلق فيعظموه ويمدحوه ويحظى بالجاه والمكانة، يعمل للدنيا .

يبقى بأن هناك بعض الأعمال التي هي طاعات جاء الشرع بأن يعطى أصحابها من أموال الفيء أو من الزكاة كالقائمين على جمع الزكوات أو المجاهدين في سبيل الله ونحو ذلك ، فما حكم ذلك؟

الجواب : أن حكمه إذا كان هذا الشخص يعمل العمل لله أصالة ويجتهد فيه لله ثم يعطى بعد ذلك من أجل أنه يحبس وقته مثلا للتعليم أو للأذان أو للصلاة ويترك أعماله الأخرى ليتفرغ لهذا الأمر فهذا لا بأس به ولا شيء فيه ، طالما يعمل العبادة لله مخلصا له الدين وابتغاء ثواب الآخرة ، وتأتيه حسنة الدنيا أو ثواب الدنيا بعد ذلك كما جاء في الأحاديث أن من قتل قتيلا فله سلبه ، لكن لا يجوز للإنسان أنه يدخل المعركة والغزو ويكون قصده المال ، فإذا دخل وقصده المال أو الغنيمة فهذا ليس له من الأجر شيء وليس له من الثواب شيء وليس له من الجهاد شيء إلا ما نوى .

بعض الناس يسأل دائما عن مسألة الدراسة والشهادات الدراسية ، ونحو ذلك ، فيقال له : إذا ذهبت إلى الكلية أو دخلت في السلك الدراسي لتحصل على شهادة تتمكن منها مثلا من الخطابة بالمساجد والتي يمنع منها من ليس عنده هذه الشهادة فهذه نية حسنة منك ، يعني مثلا يقال لا يخطب إلا من كان عنده شهادة دينية أو من معهد ديني أو نحو ذلك ، ومن ليس عنده شهادة لا يخطب حتى لو كان شيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا وجد الإنسان أن هذا النوع من

التضييق موجود فلا مانع أن يذهب يأخذ الشهادة ليتخذها وسيلة للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ؛ فلو عين بعد ذلك إماما ثم قيل له بعد ذلك أنت الآن خطيب الجامع أو إمام الجامع ومرتبك كذا مكافأتك كذا فلا بأس أن يأخذ هذا المال أو هذا الرزق الذي يعطاه من بيت المال أو من المال العام ، لا بأس بذلك ، لكن لا يكون همه الأول في الشهادة أنه يكون عنده شهادة ليكون له اسم ويكون له مكانة أو يقال له الدكتور فلان ونحو ذلك ، فهنا الخطورة على الشخص ، الخطورة الكبيرة ؛ أن يلتمس طاعة الله جل وعلا ويلتمس الأجر الأخروي أو يلتمس الدين بالدنيا الفانية بهذا الحطام الفاني ؛ فيتخذ الدين وسيلة للوصول إلى مآربه من هذه الدنيا التي تسمى دنيا لأنها دنيئة أو لقرب دنوها.

النوع الرابع : من يعمل لله مخلصا له لكنه أتى بمكفر يخرجه من الملة، وضرب المؤلف رحمه الله له ثلاثة أمثلة ، قال: كاليهود والنصارى ، والنوع الثالث المشركون من هذه الأمة.. يعني اليهود والنصارى واضح، راهب يتعبد في صومعته عشرات السنين ويسبح يصلي في صلاته وهو لا يريد شيئا من الدنيا لا يريد منصب ولا يريد مال، جالس في صومعته مغلق عليه يتعبد.. كرهبان النصارى المعروفون حتى الآن، يوجد منهم في الأديرة ما قد يكون ... هذا معروف هذا طبعا عمله باطل لأنه لديه مكفر وهو أنهم اليهود والنصارى كفار لأمور كثيرة..

طيب النوع الثالث وهم المشركون من هذه الأمة وإن شئت قلت عباد القبور الذين يأتون للأولياء فيذبحون لهم وينذرون لهم ويستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله سبحانه وتعالى فهذا المريد الذي يأتي قبر الولي قد يكون آتيا لهذا القبر من مكان بعيد ويأتي معه ببقرة يشتريها بعشرة آلاف أو بألفين أو أكثر أو أقل ويأتي مخلصا ويريد أن يذبح هذا الكبش أو هذه البقرة هناك ويصلي عند ذلك المقام ويذكر الله عند ذلك المكان ويجتهد في العبادة لكنه أتى بمكفر وهو أنه يذبح للبدوي مثلا أو يذبح للرفاعي أو يذبح للشيخ عبد الله أو يذبح للحسين أو للسيدة نفيسة أو نحو ذلك، فهذا أتى بمكفر وأتى بالشرك الأكبر، فعمله حابط وعمله لا شيء.. تحذف وتنقل من فتح المجيد

هذه الأنواع الأربعة التي ذكرها الشيخ هو لخصها رحمه الله تعالى من كلام السلف في تفسير هذه الآية ، فإنه روي عنهم هذه التفاسير، ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة والإمام مجاهد ؛ روي عنهم تفاسير لخصها المؤلف الماتن رحمه الله تعالى كما سبق .

وحكي عن أحد الأئمة : يقال له هيا إلى الجنازة يقول: انتظر حتى أنوي.

قوله : باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ؛ كلمة الشرك هنا الأولى أن يكون فيها تفصيل ، يعني بعض الشراح جعلها كلها من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب ، وبعضهم فصل فيها تفصيلا حسنا وقال إنها قد تدخل في الشرك الأكبر، يعني إرادة الإنسان الدنيا قد يدخل في الشرك الأكبر كشرك المنافقين الذين دخلوا الإسلام من أجل الدنيا ، فهذا النوع يدخل في الشرك الأكبر ، وهذا ذكره الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى وهو تفصيل حسن ؛ والنوع الثاني الذي هو من الشرك الأصغر ما فصلناه أن الإنسان يعمل من أجل المال ؛ يعمل من أجل المنصب ؛ من أجل الدنيا ونحو ذلك .
{ ينافي كمال التوحيد الواجب} فالشرك الأصغر ينافي كمال التوحيد الواجب يعني تاركه يكون آثما لكن لا يدخل في الشرك الأكبر بل هو من الشرك الأصغر ؛ فأحيانا الشراح يذكرون هذه الكلمة ولا يبينون كلمة الواجب أي كمال التوحيد الواجب الذي يأثم تاركه ، لأن هناك كمالا مستحبا إذا فات الإنسان لا يضره وهناك كمال واجب إذا فات يضره، كثير من الكتب : ينافي كمال التوحيد وأحيانا قليلة يقول كمال التوحيد الواجب فتنتبه الآن للفرق بين كمال التوحيد المستحب الذي إذا فات لا يضره وكمال التوحيد الواجب الذي إذا فات يضره كالشرك الأصغر الذي هو معنا بصوره المتعددة فينتبه المسلم للفرق بينهما.
قوله : باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ؛ سواء كان ثناء تصنعا تدينا طلبا المديح طلبا للجاه طلبا للمال ونحو ذلك ، أيضا أنبه على أنه جاء في النصوص بأن هناك أعمالا إذا عملها الإنسان فيكون له أجر في الدنيا وأجر في الآخرة ، كصلة الأرحام مثلا ، أنه يبارك له في رزقه وينسأ له في عمره أو في أثره ، فلا بأس للإنسان أن يعمل هذا العمل الذي هو عبادة، كصلة الأرحام لابتغاء ما ورد في النصوص ، ابتغاء ما عند الله جل وعلا في الدنيا وفي الآخرة وهذا لا يضره ؛ ويقاس عليه مثله مما جاء في النصوص .
فأيهما أعظم : إرادة الإنسان بعمله الدنيا أم الرياء؟
الجواب: إرادة الإنسان بعمله الدنيا أعظم من الرياء لأن الرياء كما سبق خاص بالعبادة ؛ أما هذا فيدخل في عبادات كثيرة .

قوله : « **وقول الله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها﴾** الآية» لما ذكر لمعاوية رضي الله عنه الحديث المشهور أن أول ثلاثة تسعر بهم النار الأصناف المعروفة: الذي قرأ القرآن ليقال قارئ

والذي جاهد ليقال مجاهد والذي أنفق وأعطى ليقال جواد بكى بكاء شديدا، ـ رضي الله عنه ـ وقرأ هذه الآية الكريمة ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها**﴾ يعني هذه الأصناف الثلاثة ظاهرها أنها عملت عملا لله ، هذا الظاهر، لكن الله جل وعلا هو المطلع على ما في القلوب والملائكة تكتب العمل الظاهر ولا تطلع على ما في القلوب ، ولا يعلم ما في القلوب إلا خالقها سبحانه وتعالى ، فيقول يوم القيامة لهؤلاء الثلاثة : إنما قرأت ليقال قارئ ؛ ويقال للمجاهد: إنما جاهدت ليقال شجاع ؛ ويقول للمنفق : إنما أنفقت ليقال جواد ؛ فقد قيل ؛ ويؤمر بهم – والعياذ بالله – فيسحبون على وجوههم ويلقون في النار، نسأل الله السلامة والعافية .

فعندما تلي على معاوية رضي الله عنه هذا الحديث بكى بكاء شديدا وقرأ هذه الآية ، هذه الآية ؛ وهي وإن كانت في الكفار ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار** ﴾ هذا حصر ليس لهم إلا النار، هذه في الكفار لكنها يدخل فيها من أتى بهذا الشرك في النيات من المسلمين، من أتى بهذا الشرك في النيات في الأقوال في الأعمال من أهل الإسلام، فهي عامة في لفظها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لكن لفظها يشمل إرادة الدنيا من الكفار ومن غير الكفار، يعني من أراد بعمله الدنيا سواء من الكفار أو من غيرهم حبط عمله ، لكن الفرق أن الكافر يحبط عمله ويخلد في النار والمسلم يحبط عمله الذي دخله الشرك بأي صورة من صوره فقط ولا يخلد في النار .

إذا هذه الآية وإن كانت في الكفار لكنها تجر بذيلها كما قال من قال من السلف على من فعل ذلك من أهل الإسلام ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ قال تعالى ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا**﴾ أي يريد الثواب الذي فيها ﴿**وزينتها**﴾ أي يريد المال أو يريد الزينة المذكورة في سورة آل عمران ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة**﴾ إلى آخره ؛ أي نوع من أنواع الزينة .

قال ابن عباس: ﴿**وزينتها**﴾ يعني المال، وهذا تفسير بالمثال ، يعني أحد أنواع الزينة المال .

﴿**نوف إليهم أعمالهم فيها**﴾ هذا جواب الشرط، من: هذه شرطية، وجواب الشرط: نوف إليهم، يعني نوفر لهم ثواب عملهم، بأي شيء؟ يعطيهم في الدنيا الصحة ، والفرح والسرور والمال والولد، كما هو حال كثير من الكفار اليوم

، ولكن ليس كل الكفار يعطون هذا ، بل يوجد من الكفار من هو حاله تعيس فقير مريض ليس عنده مال ولا ولد ولا أهل ، لماذا؟

الجواب : لأن الله قال: **﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾** عجلنا له فيها ما نشاء ؛ فقيد العموم الموجود في هذه الآية بمشيئته، لذلك السلف قالوا نسختها آية الإسراء ، يعني قيدتها، يعني قيدت هذه الآية التي معنا في سورة هود آية الإسراء، لأن آية الإسراء عامة يعني أي كافر أو مسلم يعمل للدنيا نعطيه ما شاء ، يعمل للدنيا فمن يعمل أعمال الآخرة من أجل المال أو المنصب أو الصحة ؛ قال تعالى : **﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾** نوفر لهم ما أرادوا، لكن آية الإسراء قيدتها بالمشيئة فقال :**﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾** فقيدتها بالمشيئة، فالله جل وعلا إذا شاء أن يعطي هذا الذي أراد الدنيا بعمله أعطاه وإلا فلا، كما هو حال كثير من الكفار .

قال تعالى **﴿وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾**

قوله : {ليس}: نفي ؛ و**{إلا}**: إثبات ، فهذا حصر يفيد حصرهم في النار والعياذ بالله تعالى وتخليدهم فيها ، وهذا لا يكون إلا للكفار، لماذا؟ لأنهم لم يعملوا إلا للدنيا **﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾** بطل وذهب أجر ما صنعوا فيها **﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾** لأن أعمالهم عُملت لغير وجه الله .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المؤلف في تفسيره لهذه الآية : هل هناك فرق بين الحبوط والبطلان ؟

الجواب : وأما الفرق بين الحبوط والبطلان فلا أعلم بينهما فرقا بينا.

وبعض أهل العلم يقول : البطلان يكون في الدنيا والحبوط يكون في الآخرة .والله أعلم بالصواب .

الدليل الثاني :

قوله : « في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة» » المقصود بالصحيح هنا صحيح البخاري، فهذا الحديث رواه البخاري في موضعين، في كتاب الجهاد وفي كتاب الرقاق، لكنه ليس في المواضع هذه ، ولم نقف على هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف في الثلاثة مواضع في النسخ التي بين أيدينا ، يعني كلمة **«عبد الخميلة»** ليست موجودة في النسخ التي بين أيدينا من صحيح البخاري ولا من فتح الباري **«عبد الخميلة»** وإنما الذي في الصحيح **«تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة»** وفي رواية **«تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة»** يعني لا يوجد

في النسخ التي بين أيدينا ونقول هذا الكلام لأن هناك نسخا للبخاري وروايات ليست الآن بين أيدينا .
والحديث كذلك بهذا اللفظ ليس في صحيح مسلم ، وربما يكون المؤلف أخذه مثلا من الجمع بين الصحيحين للحميدي أو أخذه من بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية أو رواه بالمعنى ، لأن الخميلة يقولون هي القطيفة، فربما يكون رواه بالمعنى أو نقله ممن رواه بالمعنى .
والمقصود في هذا الحديث أمران :
الأول : النقود ؛ التي هي الدراهم والدنانير
الثاني : الأعيان ؛ مثل اللبس والفرش والسيارات وغير ذلك ، وقد يلحق بها البيوت والعقارات والأراضي وغير ذلك ، ففي الحديث مثل بمثالين مما يحرص عليه الشخص حتى ينسى دينه وربه والعمل للآخرة ، فعبد المال الذي يجري وراء المال ؛ فلا يحب إلا من أجل المال ولا يبغض إلا من أجل المال، وقد يكون هناك عبد للمنصب ، فهذا مثال في الحديث فقط ، وإلا فتقول : عبدا للشهوة ، عبدا للمال ، عبدا للدنيا عبدا لكذا، وهذا باب واسع جدا لكنه في الحديث نبه على أمرين عظيمين : النقد أو المال، الثاني الأعيان أو الأعراض ، كالفرش واللباس وأضف إلى ذلك أمور الدنيا، ومن ذلك عبد المرأة فهو عبد لشهوته ، يحب ما تحب المرأة ويكره ما تكره المرأة وقس على ذلك .
قوله :«تعس عبد الدينار» {تعس}: لها معان كثيرة ، منها : هلك ؛ خاب ؛خسر ؛انكب على وجهه سقط على وجهه، وقس على ذلك **«تعس عبد الدينار»** يعني الذي يغضب ويرضى من أجل الدينار، والدينار المقصود به جنس المال ، فقد يكون عبدا للجنيه أو الدولار أو الريال .
والدينار هو مثقال من الذهب ، فالدنانير من الذهب والدراهم من الفضة، فهو عبد للذهب أو للفضة أو ما يقوم مقامهما ؛ قال العلماء بأن الدرهم يزن حوالي اثنين وسبعين شعيرة متوسطة ، يعني لو أردت أن تعرف وزن الدرهم ؛ تزن اثنين وسبعين شعيرة متوسطة يخرج لك وزن الدرهم بالجرامات .
قوله :«تعس عبد الدرهم» خصه بهذه العبودية لانغماسه في الدنيا وشهواتها ولأنه يسير وراء الدرهم والدينار حيث سارا ويقف حيث وقفا ولا يجعل عمله ابتغاء وجه الله تعالى ولا ابتغاء الدار الآخرة .
قوله :«تعس عبد الخميصة» ثوب من الصوف أو من الخز فهذا يلبس هذا الثوب وهذا مثال للذي يعتني بثيابه عناية فيها إسراف وتبذير وخروج عن المعتاد.

قوله : «**تعس عبد الخميلة**» على هذه النسخة أو هذه الرواية ؛ وعلى الثانية : **{القطيفة}** مكان الخميلة ؛ والخميلة ما يفرش، جاء في حديث أم سلمة أنها كانت مع النبي ﷺ في خميلة فأصابها الحيض فانسلت من الخميلة ، فقال لها: «**ما لك؟ أنفست؟**» وأمرها أن تعود إلى الخميلة مرة أخرى، كأنه ثوب يفرش أو يدخل فيه أو ينام فيه أو عليه ، ويقولون ثوب له خمل، ويطلق عليه القطيفة ، يعني الحديث جاء بلفظ القطيفة «**تعس عبد القطيفة**» وقد يكون هذا فيه تنبيه على ما يلبس أو ما يفرش ، فيهتم بالأثاث أو المفروشات اهتماما زائدا فوق المعتاد يصل به لحد التبذير أو الإسراف .

قوله :«**إن أعطي رضي**» من الذي أعطاه؟ هذا يحتمل، يعني إن أعطاه الله جل وعلا رضي أو إن أعطاه الناس رضي عنهم ، إن أعطاه الله جل وعلا الخير أو المال أو الصحة أو هذا المذكور رضي عن الله جل وعلا، وإن أعطاه الناس رضي عنهم ، هذا يحتمل أن يكون العطاء عطاء قدريا أو عطاء من الناس أو من الشرع كأن يعطى مثلا من الزكاة أو من الفيء . **قوله** :«**وإن لم يعط سخط**» سخط على من لم يعطه وغضب وأبغضه .

قوله :«**تعكس وانتكس**» هذا دعاء عليه ، خاب وهلك ، وانتكس : يعني انقلب على وجهه أو عاوده المرض مرة بعد مرة، تعكس وانتكس .

قوله :«**وإذا شيك**» يعني أصابته الشوكة، أقل شيء يصيب الإنسان شوكة «**فلا انتقش**» يعني لا يستطع أن يأتي بالملقاط ويخرجها بالملقاط لعجزه، يعني انظر لشدة حرصه على الدنيا وشدة جريه وراءها ومع ذلك لا يستطيع أن يخرج الشوكة من رجله بالملقاط لشدة عجزه، وهذا خبر المراد به الدعاء عليه، يعني يدعو عليه النبي ﷺ بهذا الدعاء، أنه إذا وقع وأصابته الشوكة فإنه لا يستطيع أن يخرجها لعجزه ، لشدة حرصه على الدنيا.

هذا هو الصنف الأول من المذكور في هذا الحديث ، فإن في هذا الحديث ذكر صنفين من الناس : عبد الدنيا والدينار والدرهم والثاني العبد الصالح .

وهناك كلام جيد لشيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة العبودية أذكره ملخصا لأن فيه فائدة للطالب الذي يقول كيف أفعل مع الدنيا كيف أحصلها أحصل ماذا منها كيف أطلب الشيء الذي أحتاج إليه والذي لا أحتاج؟

قال: فيما يحتاجه العبد وما لا يحتاجه، قال: فهذه الأمور نوعان.. يعني ما يحتاجه وما لا يحتاجه ؛ هذه الأمور نوعان: ما يحتاج إليه العبد كطعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه، يعني من يريد مال يطلبه من الله جل وعلا، يسعى في الأسباب لكنه يطلبه من الله

جل وعلا، يريد أن يتزوج يطلب من الله جل وعلا أن ييسر له الزواج أو النكاح، يريد مثلا بيتا يأويه يطلب ويرغب إلى الله جل وعلا في ذلك، فهذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه ؛ ثم قال : فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه ، ماذا يقصد شيخ الإسلام بهذا؟ يعني الذي عنده حمار يصل عليه إلى الأماكن التي يريدها ؛ يصل المكان الذي يريد فيترك الحمار وينزل ، لم نجد أحدا ممن يصل لبيته وعمله يتعلق قلبه بالحمار تعلقا قلبيا بل يدعه وينزل ؛ فهكذا الذي يعطيه الله المال يستعمله فيما يريد في منكحه في مشربه في مطعمه لكن يجعله بمنزلة الحمار الذي يوصله إلى مقصوده بدون أن يتعلق به قلبه ؛ هذا مثال؛ ويقاس عليه المراكب الحديثة كالسيارات الفارهة ونحوها .

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله : وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعا .

وهذا ايضا يقال على الفرش والأثاث الذي يكثر تعلق الكثير بها ؛ بل تبذل الأموال الكثيرة في شرائها ؛ بل أصبحت عند البعض من الضروريات ؛ فضلا عن الكماليات .

وهذا هو بيت القصيد ، ألا يجعل الإنسان ما فتح عليه من الدنيا وما أعطي من الرزق شاغلا له عن ربه ؛ فلا يكون عبدا لهذا الذي من الله عليه به سواء كان هذا من المال أو الأولاد أو الزوجة أو المنصب أو غير ذلك.

ثم قال ابن تيمية رحمه الله : {وما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي ألا يعلق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا أو معتمدا على غير الله فيها ؛ فلا يبقى معه حقيقة العبودية }.

يعني هو يريد الكماليات ، فيطلب من الله جل وعلا أن يعطيه من فضله الواسع وأن يوسع عليه بما فيه مرضاته ؛ لأنه قد يوسع عليه وقد يُفتح عليه بما فيه هلاكه والعياذ بالله كما قال تعالى : ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون**﴾ فيقول رحمه الله : {فلا يبقى معه حقيقة العبودية ولا حقيقة التوكل على الله} بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ؛ يعني : قلبه مشغول بهذه الدنيا وبشعبها الكثيرة التي لا تنتهي لأن العبد سيظل في شغل فيها إلى أن تموت ، فهناك من يقول : سأتعبد عندما انتهي ؛ سأتعلم حين انتهي ، فنقول له :أنت لن تنتهي كما في الحديث «**لو أن لابن آدم واديا من مال لابتغى واديا ثانيا ولو أن له واديان لابتغى ثالثا ولا يملأ عين – أو نفس- ابن آدم إلا التراب**

ويتوب الله على من تاب» فالإنسان يبادر ولا يعلق نفسه بهذه الشعب الكثيرة ، وكما قيل:

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع

طالما الإنسان لا يزال طامعا في الدنيا وفي مهاويها وفي شعبها سيظل عبدا مستعبدا مسترقا لشهواته ولدنياه ، فيقولون: فإن الرق حقيقته هو رق القلب وعبوديته ؛ فليس شرطا أن يكون لديك عبد أو ملك يمين ؛ لا، بل قد يكون الإنسان مستعبدا قلبه ؛ عبدا لشهواته ودنياه ، وقد يكون هناك عبد مملوك أعظم من آلاف الأحرار؛ قلبه متعلق بالله سبحانه وتعالى متوكل عليه قلبه يحسن الظن به.

وكما قال ابن القيم رحمه الله :

هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان

ثم يختم كلامه بقوله : وهذا أحق الناس بقوله: **«تعس عبد الدينار والدرهم»** فهذا هو عبد لهذه الأمور .

إذا على كل حال هذه الأمثلة مقياس للشخص، يقيس نفسه، يعني شيخ الإسلام ذكر هذا التفصيل وهذا الضابط فيما يحتاج إليه الإنسان يلجأ إلى ربه فيه من المطعم والملبس والمنكح والمسكن وما لا يحتاج إليه لا يعلق قلبه به ؛ فإن أتاه حمد الله جل وعلا ؛ وإن لم يأته لا يتبعه نفسه فيكون عبدا مسترقا لهذا الذي لم يأته فيشغل قلبه عن حقيقة العبودية للواحد القهار سبحانه وتعالى .

قوله : «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه» {طوبى} إما أن يقال هي شجرة في الجنة ، أو يقال :الجنة نفسها طوبى ، وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد أن: طوبى شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مسيرة مئة سنة لا يقطعها ، انظر لهذا الخير العظيم الذي أعد لعبد الله الصالح الذي ، له شجرة في الجنة يسير الراكب تحتها مسيرة مئة سنة وهو راكب لا يقطعها من عظمها، وهذا شيء عظيم جدا؛ نعيم أعده الله جل وعلا لعبده الصادق . يذكر أحوال هذا العبد ، هذا العبد يجاهد في سبيل الله، يعبد الله جل وعلا بما يحبه ويرضاه، في أي مكان كان وفي أي حال، إذا قيل له حي على الجهاد كي تجاهد أعداء الله جل وعلا أخذ بعنان فرسه، والعنان الذي هو سير اللجام الذي يمسك به الفرس .

قوله : «في سبيل الله» هذا تنبيه شديد على الإخلاص ، وهذا مدار البحث في هذه الباب ، الإخلاص وتصحيح النية، فلو كان خرج هذا العبد في سبيل العصبية أو القبلية أو الوطنية أو نحو ذلك فهذا ليس له شيء من جهاده .

وصف هذا العبد بقوله : «**أشعث رأسه**» يعني ثائر الرأس، ليس كالمترفين المتنعمين ؛ فعبد الله الصالح الصادق يهتم ويسعى في البحث عن مراضي الله جل وعلا ، أي ما يرضيه سبحانه وتعالى كما في الحديث : «**رب عبد أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» فهنا في هذا الحديث **{أشعث رأسه}** يعني ترك التنعم والترفه لانشغاله بالجهاد ، **{ورأسه}**: فاعل ، **{مغبرة قدماه}**: الغبار في رجليه ، صفة ثانية للعبد .

قوله :«إن كان في الحراسة كان في الحراسة» يعني إن قالوا له اجلس هنا احرس الجيش وقف للحراسة في اليمين أو في الشمال أو في الأمام أو في أي مكان وقف للحراسة، ليس عنده مانع أن يعمل في سبيل الله .

قوله : «وإن كان في الساقة» يعني في آخر الجيش «**كان في الساقة**» يعني إن قالوا له قف في الخلف نحن نحتاجك في الخلف وراء الجيش يقول سمعا وطاعة ، لأنه يهتم بما يصلح حاله وبما ينفع المسلمين وبما يكون له فيه الأجر، ليس مهما أن يظهر هو ، كمن تقول له كن في الخلف ؛ يقول كيف لابد أن أكون في الأمام ، وكمن تقول له كن في الحراسة؟ يقول لا ؛أنا أريد أن أكون في المقدمة ، فيحرص على المناصب والوجاهة والمكان، لكن عبد الله الصادق أهم شيء عنده أنه يأتي بما يرضي الله جل وعلا سواء عمل في الجهاد أو ما دون ذلك مما يزهد فيه كثير من الناس ، المهم أن يعمل ما يرضي الله جل وعلا ؛ ويرضى به عنه ؛ ويأخذ الأجر، سواء كان في المقدمة أو المؤخرة .

قوله :«إن استأذن لم يؤذن له» يعني هذا العبد الصالح ليس له مكانة عند الناس ولا وجاهة ، لو ذهب يستأذن لم يؤذن له لأنه ليس له مكانة ووجاهة..

قوله :«وإن شفع لم يشفع» إن ذهب يشفع لفلان عند أحد من المسئولين يقول من معك ؟ فيقول هذا فلان غير معروف ؛ فربما يكون هذا الشخص أفضل من ملئ الأرض من ألوف من الناس المعروفين المغرورين والمخدوعين والمرائين ، يكون هذا العبد الغير معروف والذي لا تقبل شفاعته أحسن عند الله سبحانه وتعالى من ملء الأرض من أناس يعملون من أجل الدنيا أو من أجل المناصب أو من أجل المال أو من أجل الجاه .

فهذا مثال لعبد الله الصادق ؛ فينبغي على الإنسان الذي يعمل لله جل وعلا خاصة الذي يعمل في مجال الدعوة إلى الله تعالى أن يخلص نيته وأن يصدق في عمله وأن يجتهد فيما فيه نفع المسلمين .

قد يكون نفع المسلمين أن تقف توزع شريطا مثلا للقرآن أو محاضرة على المحلات أو على السائقين أو نحو ذلك فهذا خير، قد يكون نفع المسلمين أنك تقف حارسا على أحد المساجد هذا خير، قد يكون نفع المسلمين أنك تحمل مثلا للأيتام والأرامل الأرز والزيت ونحو ذلك توصله إلى بيوتهم ، قد يكون نفع المسلمين أن تجلس في حلقة علم تحفظ وتذاكر وتجتهد لتنفع المسلمين ، فالعبد الصادق ينظر ويبحث عما فيه مرضاة ربه سبحانه وتعالى .

قوله : « فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة »

سبق الكلام عليه .

«الثانية: تفسير آية هود. الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة»

وهذه التسمية كما قلنا هو عبد للدينار والدرهم وهذا من الشرك الأصغر وليس من الشرك الأكبر .

« الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط.

سبق الكلام عليها .

الخامسة: قوله: «تعس وانتكس»

دعاء على هذا الذي يجري ويلهث وراء الدنيا فيحب من أجلها ويبغض من أجلها، دعاء عليه بالانتكاس .

السادسة .....

سبق الكلام عليها .

« السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات »

أول هذه الصفات : أن يكون في سبيل الله ؛ يعني التنبيه على الإخلاص والعمل للآخرة ثم التواضع والسعي في مصالح المسلمين والجهاد في سبيل الله .

فهذا الباب باب مهم مع الذي قبله ـ باب ما جاء في الرياء ـ فعلى العبد ألا ينسى هذا وأن يزن نفسه بهذه المقاييس التي ذكرناها.

والله أعلم .